المقتطف

الحوت

المعروف عند العامّة ان الحوت نوع من السمك الكبير وذلك لانهُ يشبه السمك في منظرهِ ويقطن الماء مثلهُ. والصحيح ان الحوت نوع من ذوات الثدي وبينهُ وبين السمك فرق عظيم ولو شابههُ في المنظر وقاسمهُ في المسكن. ولنا على ذلك ادلة شتّى منها ان السمك على اختلاف انواعهِ بارد الدم اي ان دمهُ يكاد لا يكون احرّ من الماء الذي يعيش فيهِ واما الحيتان فحارّة الدم. ومنها ان السمك بيض والحوت يلد اولادهُ ولادةً فترضع الحوتة ولدها من ثديها كما ترضع الشاة حملها. ومنها ان السمك ليس لهُ رئة ولا يتنفّس بل ينقّي دمهُ بالهواء المتغلغل دقائق الماء بواسطة جهاز مخصوص واما الحوت فلهُ رئتان ويتنفس الهواء كما يتنفسهُ الانسان. ولذلك تراهُ يصعد الى وجه الماء كل برهة من الزمان ويتنفس طويلاً فيخرج النفس من فتحة او فتحتين في اعلى راسهِ او في مقدمتهِ. ولكثرة ما في نفسهِ من الرطوبة يظهر للناظر كأن نوفرة من الماء تصعد من راسهِ. فلو حُصِر في الماء طويلاً لاختنق كما يختنق الغريق. نعم ان الحوت ليس لهُ اربع قوائم كذوات الاربع ولكن لهُ يدان شبه زعنفتين وانما رجلاهُ معدومتان ولا صوف على جلدهِ كذوات الاربع ولكنهُ يعتميض عنهُ بطبقة من الدهن تحت جلدهِ يبلغ سمكها في بعض الحيتان من ٨ قراريط الى ٣٠ قيراطًا. فلما تقدّم ولادلّة أُخرى يحسب الحوت من ذوات الثدي وهو اقرب الى الانسان منهُ الى السمك

ومما يمتاز بهِ الحوت كبر جثتهِ فان نوعًا منهُ يسمّى الروركال يبلغ طولهُ نحو مئة قدم واحلهُ اكبر الحيوانات العائشة والتي انقرضت. وآخر يعيش في البحر المتوسط قد يبلغ طولهُ ٨٠ قدمًا وهو سريع السباحة جدًّا ولذلك يخشى صيدها. والحوت الكربلندي يبلغ طولهُ من ٥٠ الى ٧٠ قدمًا منها الثلث للراس والثلثان للبدن ولكبر جمجمتهِ يظهر كأنَّ عينيهِ الصغيرتين في جنبيهِ. وفمهُ واسع جدًّا الاَّ ان بلعومهُ صغير حتى لا يستطيع ان يبتلع الاَّ صغار الصدف والاسماك الهلاميَّة. وليس لهُ اسنان ولكنهُ يتدلّى من سقف فمهِ صفائح قرنية تظهر كالشقق المدلاّة بعضها وراء بعض. فاذا اراد ان يقتات فغر فاهُ فجرى الماء اليهِ بما فيهِ من السمك الصغير والصدف ثم اطبقهُ فسال الماء من جوانبهِ وبقي السمك

مشتبكًا باطراف الصفائح المتقدم ذكرها فيلتهمه . ولذلك تكون هذه الصفائح بمنزلة المصفاة التي تنزل الماء وتمسك ما فيه

ويعتني اهل اوربا ولا سيما الانكليز اعتناء عظيمًا بصيد هذا الحوت لاجل دهنه والصفائح القرنية التي في فمه . ومن كثرة الطالبين له كان راس مال الشركات الانكليزية مليون ليرا انكليزية سنة ١٨٥٥ . وكيفية صيده انهُ اذا رأى الناظر حوتًا عن راس السارية نادى الرجال فيدلُّون القوارب ويجذفون اليه حتى اذا قرب منه قارب رماهُ احد الرماة بحربته وشرع الباقون في التجذيف الى الوراء فرارًا منه . فيغوص الحوت بسرعة عجيبة حتى رُوي انهُ غاص عموديًّا فضرب جمجمته في قعر البحر على عمق ٨٠٠ يرد فكسرها . والغالب انهُ يسبح الى قطعة من قطع الجليد التي تطفو في تلك النواحي والحربة في بدنه فيجب الحبل المربوطة الحربة به سَحْبًا شديدًا حتى انهُ اذا لم يكن مبتلًا يحترق من فركه على جوانب القارب . والمعتاد ان يكون طول الحبل اربعة آلاف قدم وقد يفرُّ الحوت والحربة في بدنه ثلثة او اربعة اضعاف هذه المسافة وربما ضرب القارب بذنبه الذي يكون طوله ٥ او ٦ اقدام وعرضه ٢٠ او ٣٠ قدمًا فيقلبه بمن فيه . وبعدما يفرُّ على ما ذُكر نصف ساعة من الزمان (وقد قيل انهُ فرَّ ساعة ونصفًا) يصعد الى وجه الماء ليتنفس فيرميه الرجال بالحراب حتى يقتلوهُ ويجروهُ الى السفينة فيجرّدوا عنهُ الدهن والصفائح التي في فمه ويطرحوا الباقي لاسماك البحر . ويبلغ وزن الدهن في الحوت الكبير ٢٤ الف اقة ويستخرج منها ما بين ١٦ و ٢٠ الف اقة من الزيت فيباع كل ٨٠٠ اقة منها بمئة وستين ليرة انكليزية . ويبلغ عدد الصفائح ٦٠٠ صفيحة وفي الحيتان الكبار ٨٠٠ ويبلغ طول كلٍّ من كبارها ١٣ قدمًا ووزن الجميع نحو الف اقة تباع ٨٠٠ اقة منها بمئة وستين ليرة انكليزية . وكثيرًا ما يصطاد اهل تلك الاقطار الحيتان برماحهم فيوقدون زيتها ويمتشيون به ويشربونهُ ويأكلون لحمها ويلبسون بعض اغشيتها الداخلية ويستخدمون غشاءها مكان الزجاج للنوافذ ويصنعون عظامها ادوات لهم

وقد اشتهرت انثى الحوت بحنوها على اولادها ومرافقتها لها حتى الموت ولذلك يجتهد الصيادون ان يرموا اولادها بالحراب املًا بصيدها هي . وقد روى كثيرون عن حوتات قتلت في المحاماة عن اولادها وكانت تنتقم الخاطر تخليصها ولا تفرُّ ولو مزّقتها الرماح وصبغ دمها البحر وتُظهر من علامات الشدة والكربة على ولدها ما يفتّت قلب الصائد نفسهِ

ومن الحيتان نوع يسمّى الكشلو يقطن الاوقيانوس الجنوبي على الغالب ويبلغ طول ذكره بين ٦٠ و ٧٠ قدمًا ومحيطه ٣٠ قدمًا وطول اثناهُ بين ٣٠ و ٣٥ قدمًا وله اسنان ظاهرة في فكهِ السفلي ولكن ليس له صفائح وهو يطلب العمق وقلما يقارب البر خلافًا للكرينلندي ومقدم راسهِ غضروف

فيهِ مادة زيتيَّة تجمد اذا عرضت للهواء وتعرف بين السمك . وزيتهُ من اجود انواع الزيت ويتكوَّن في احشائهِ جسم عطر يعرف بالعنبر . ولكن في صيدهِ مشقةٌ وخطرٌ لانهُ يسبح افواجًا في الفوج منها

نحو خمسين من الاناث واولادها وذكراً وذكران . فاذا ضرب احدها بالحربة فقد تهيم البقية للحامأة عنهُ . وقد ذكر ان بعضها ضرب الصيادين بذنبهِ فقتلهم وهم في الفارب وبعضها صدم السفينة فثقبها حتى غرقت في زمان قصير والله اعلم